

# مجالس في تدبر القرآن | (900) إن الذين كفروا سواء عليهم

## أنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون

خالد السبتي

الحمد لله والصلوة والسلام على رسول الله اما بعد فسلام الله عليكم ورحمته وبركاته لما ذكر الله تبارك وتعالى وصف المؤمنين الذين يهتدون بالقرآن وهم اهل التقوى قابل هؤلاء بآضادهم وهم الكفار - [00:00:01](#)

فهذه هي الفئة الثانية التي ذكرها الله عز وجل ووصفها في صدر هذه السورة الكريمة سورة البقرة فقال ان الذين كفروا سواء عليهم انذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون هؤلاء الذين - [00:00:27](#)

يصرؤن على الكفر والضلالة وقد قضى الله تبارك وتعالى بعدم اهتدائهم يستوي الحال حال الانذار وترك الانذار في حقهم فهم لا يؤمنون هؤلاء الكفار ذكر الله تبارك وتعالى هذه الحقيقة - [00:00:51](#)

التي لا يعلمها الا هو جل جلاله وتقدست اسماؤه الذي يعلم الخفايا والخبايا وما تكنته الصدور وما تتطوّي عليه القلوب فذكر ان هؤلاء لا يجدي معهم دعوة ولا نصح ولا يفيدهم ولا يجدي الانذار - [00:01:16](#)

ان الذين كفروا سواء عليهم انذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون. وفي هذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم من اجل ان لا يبتئس ولا يحزن لعدم ايمانهم فقد اخبره الله تبارك وتعالى سلفا - [00:01:40](#)

بان دعوته لن تجدي مع هؤلاء الناس وإنما غاية ما هنالك ان ذلك يكون فيه من اقامة الحجة عليهم وقطع المعاذير اما القلوب فانها مغلقة مغلفة كما سيأتي قد طبع الله عليها وختم - [00:02:01](#)

كما ختم على الاسماع وجعل على الابصار غشاوة فاذا علم النبي صلى الله عليه وسلم مثل ذلك لم يثقل عليه اعراضهم وقد جاء ذلك كثيرا في كتاب الله تبارك وتعالى ينهاه ربه عن الحزن - [00:02:23](#)

لعدم ايمان هؤلاء الكفار فلعلك باخ نفسك اي مهلك نفسك على اثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا واذا عرف المؤمن ذلك فانه يكون ايضا متسليا بمثل هذه الاية فلا يبتئس ولا يحزن - [00:02:44](#)

حينما يبقى فئام من الكفار لا يستجيبون لدعوة الاسلام والله تبارك وتعالى قد قضى ان اكثر الخلق لا يؤمنون وقالنبيه صلى الله عليه وسلم وان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله - [00:03:08](#)

فهؤلاء يبقون على كفرهم ولكن المؤمن يؤدي رسالته ودعوته ويبقى اجره وافيا عند الله تبارك وتعالى لا ينقص النبي صلى الله عليه وسلم اخبرنا ان النبي يأتي ومعه الرجل والنبي ومعه الرجال والنبي وليس معه احد - [00:03:28](#)

واخبرنا عن نوح صلى الله عليه وسلم انه ما امن معه الا قليل مع طول المدة التي بقيها في قومه بقي الف سنة الا خمسين عاما قبل الطوفان يدعوهם ومع ذلك ما استجابوا - [00:03:55](#)

والانبياء عليهم الصلاة والسلام لا ينقصهم نصيحة وصدق في الرغبة في هداية قومهم ولا ينقصهم العلم بمقتضيات الدعوة ومتطلباتها ولا ينقصهم البيان والاساليب الصحيحة التي تعرض بها الحقائق ومع ذلك - [00:04:11](#)

يبقى من اعمى الله قلبه غير مستجيب لهذه الدعوة وفي قوله تبارك وتعالى سواء عليهم يعني يستوي الحال الدعوة وترك الدعوة وذلك ان القلوب لم تعد محلا قابلا للدعوة فلا يصل اليها خير - [00:04:34](#)

لأنها صارت مغلقة وقد طبع عليها وختم فلا يصل اليها التذكير والوعظ وقوله تبارك وتعالى انذرتهم انذرتهم؟ لاحظوا هنا انه عدل

عن المصدر ما قال سواء عليهم الانذار وعدم الانذار - 00:05:00

وانما قال يعني سواء عليهم انذرتهم فعدل الى الفعل انذر لما فيه من ايهام التجدد الفعل يفيد ذلك انذرتهم هذا الانذار يتكرر ويحصل مرة بعد مرة ومع ذلك لا يجدي - 00:05:23

ثم ايضا تأمل دخول الهمزة هنا سواء عليهم انذرتهم وكذلك ام لم تنذرهم لتقرير معنى الاستواء بالحالين وتأكيد الحال مستوية سيان الانذار وعدم الانذار لا يؤمنون بعد التركيب يدل على - 00:05:43

العموم لا يؤمنون بحال من الاحوال ولا في وقت من الاوقات فهم باقون على هذه الضلالات والكفر لا يفارقونها بحال من الاحوال ثم ذكر العلة في ذلك عدم الاستجابة فقال ختم الله على قلوبهم - 00:06:11

وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة ولهם عذاب عظيم ختم عليها بمعنى ان الله تبارك وتعالى قد طبع على هذه القلوب فلا يصل اليها التذكير وغطي ختم ايضا على الاسماع فلا ينفذ منها - 00:06:33

شيء وجعل على هذه الابصار اغطية وغشاوة فلا ترى الحق فهذه الثالث نسأل الله العافية حصل لها حجب كامل الثالث هذه هي هي الثالث الى المصادر التي يحصل بها العلم - 00:07:04

والمعرفة والفهم الاعتياد والاتعاظ وما اشبه ذلك. هي هذه الثالث فالسمع والبصر ميزابان يصبان في القلب وهو موضع الفكر والعقل فهذه الاشياء التي يسمعها الانسان من ايات الله المطلوبة والمواعظ والتذكير - 00:07:29

حينما تصل الى القلب وتجد محلا قابلا فانه يستجيب ويتأثر ويحصل له الاهتداء والایمان اذا كان الله تبارك وتعالى قد قضى له ذلك واما اذا كان هذا القلب قد طبع عليه وختم وصار - 00:07:53

في اغلفة وران على هذا القلب ما يكسبه صاحبه من الافات والذنوب والجرائم والجرائم فان هذا القلب نسأل الله العافية لا يصل اليه الهدى اصلا ولا يتأثر بل يكون قاسيا - 00:08:15

كما قال الله تبارك وتعالى ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة اشد قسوة قال وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء - 00:08:36

وان منها لما يهبط من خشية الله حجارة وكما سيأتي في الكلام على هذا الموضع ان شاء الله. ما قال كالحديد الحديد اذا وضع في النار والمعادن تذوب اما الحجارة - 00:08:56

فانها لا تذوب في النار فتشبهها بالحجارة كالحجارة والعرب ما زالت تشبه القسوة بالحجارة قال قلبه حجر فهو لاء قد تحجرت قلوبهم وقد ختم الله تبارك وتعالى على القلوب والاسماع فهذه الآية ختم الله على قلوبهم وعلى - 00:09:09

لا سمعهم والوقف هنا فالختم على القلوب والاسماع واما الابصار وعلى ابصارهم غشاوة يعني جعل على ابصارهم غشاوة فالغشاوة تكون على الابصار بخلاف الختم والطبع كما قال الله تبارك وتعالى في الآية الاخرى وجعل على بصره - 00:09:31

غشاوة ومن يهديه من بعد الله. فتلن الآية توضح هذه فهو لاء ايها الاحبة حينما تعطلت هذه الاسماع وهم لهم اذان لا يسمعون بها يعني السمع الذي ينفعه ولهم ايضا ابصار لكنهم لا ينتفعون بهذه الابصار اي لا يبصرون بها لهم اعين - 00:09:53

لكنها لا تبصر ما ينفعها لهم اعين لا يبصرون بها فهذه الاعین الاذان التي لا تسمع ما ينفع ولا تبصر ما ينفع كذلك ايضا تلك القلوب لا يعقلون بها لهم قلوب - 00:10:19

لكن لا يعقلون بها ما ينفعهم. هي مثل قلوب البهائم لا تقبل على ما ينفعها ويرفعها فاذا كان الانسان نسأل الله العافية يحمل سمعا كهذا وبصرنا كهذا وقلبا كهذا فاني له - 00:10:39

ان يؤمن لا يمكن بحال من الاحوال ونحن نشاهد كثيرا من الكفار يسلمون. والله تبارك وتعالى هنا يقول ان الذين كفروا سواء عليه ما انذرتهم ام لم تذرهم. بعض الكفار مثل جبير بن مطعم رضي الله عنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ آية - 00:10:57

واحدة كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في سورة الطور في صلاة المغرب وقد جاء جبير بن مطعم في المدة التي كانت بعد بدر يطالب بفكاك الاسرى اسرى المشركين - 00:11:16

فسمع النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ ام خلقوا من غير شيء ام هم الخالقون يقول فكاد قلبي ان يطير فلما رجع الى مكة اعلن اسلامه  
وهاجر الى النبي صلى الله عليه وسلم - [00:11:31](#)

سمع اية وهذا ما زال يحدث الى يومنا هذا اذا من هؤلاء الكفار الذين ذكر الله تبارك وتعالى حالهم هذه وهي اسوأ حال هؤلاء كما قلت  
في مضمون الكلام السابق الذين يصررون - [00:11:46](#)

على الكفر من قضى الله عليه الضلالة فلم يوفهم للهوى فهؤلاء لا ينفع ولا يجدي معهم النصح والموعظة ومن هنا نأخذ ايتها الاحبة  
ما ينبغي على المؤمن من ان يلاحظ - [00:12:02](#)

قلبه وسمعيه وبصره هذا السمع ان يسمع ما ينفعه وهذا البصر ان يوجه الى ما ينفعه ثم اذا وصل ذلك المسموع او المشاهد المبصر الى  
القلب هل ينتفع به هذه الايات التي نسمعها - [00:12:20](#)

والمواعظ التي تطرق اذاننا هل يحصل استجابة وتحريك لهذه القلوب وانتفاع فيكون حال المؤمن بعدها افضل من حاله قبلها فاذا  
وجد الانسان انه لا تتغير حاله عند سماع الموعظة او الايات او في مجالس الذكر فعليه ان يخاف - [00:12:39](#)

وان يراجع قلبه يحضر خطب الجموع ومجالس الذكر ويسمع الايات تتلى في الصلاة وفي خارج الصلاة ومع ذلك لا ينتفع. يرى الايات  
ويمر بالعبر والعظات ولكنه لا يعتبر ولا يتعظ فهذا يدل على خلل في القلب - [00:13:05](#)

يخشى معه ان يطبع على هذا القلب فلا ينتفع والله تبارك وتعالى يقول يا ايها الذين امنوا استجيبوا لله ولرسول اذا دعاكم لما  
يحييكم واعلموا ان الله يحول بين المرء - [00:13:26](#)

وقلبه فاذا ترك الانسان الاستجابة والمبادرة الى امر الله تبارك وتعالى والانقياد التام لا وامرها واجتناب مساخطه فانه قد يطبع على  
القلب النبي صلى الله عليه وسلم اخبرنا عن الفتنة أنها تعرض على القلوب كعرض الحصير - [00:13:40](#)

عودا فايما قلب اشربها نكت فيه نكتة سوداء. وايما قلب انكرها نكت فيه نكتة بيضاء حتى تصير القلوب على قلبيين اسود مرباد  
كالجوز مجخيا لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا الا ما اشرب من هواه - [00:14:01](#)

وابيض كالصفاة لا تضره فتنة ما دامت السماوات والارض فهذه الفتنة ايتها الاحبة التي تعرض على القلوب كعرض الحصير هي ما  
نشاهده ما نمر به من اطماء وما يحصل فيه من فتن - [00:14:20](#)

للنفوس بشيء من عرض الدنيا محروم او كان ذلك عبر شهوات او عبر مشاهدات يراها الانسان فاذا تحركت دواعي النفس لطلب  
المعصية سواء كان ذلك صورة محمرة يشاهدها او ما لم يأخذ او غير ذلك - [00:14:39](#)

فليتذكر قبل ان يطلق بصره او ان يمد يده هذا الحديث تعرض الفتنة على القلوب كعرض الحصير عودا فايما قلب اشربها نكت  
فيه نكتة سوداء. فاذا فتحت هذا المشهد - [00:15:03](#)

فهذه نكتة سوداء المشهد الآخر نكتة سوداء. المشهد الثالث نكتة سوداء حتى يسود القلب فيصير في حال لا يعرف المعروف ولا ينكر  
المنكر وبهذا نعرف من اين يؤتى الانسان وان هذه الجنایات - [00:15:18](#)

والمقارفات هي التي تؤدي به الى حال بهذه فالمؤمن يخاف يحذر ويحتاط والاحظوا هنا ان الله تبارك وتعالى لما ذكر الختم جمع  
القلوب. ختم الله على قلوبهم وافردى السمع وعلى سمعهم - [00:15:38](#)

وجمع الابصار وعلى ابصارهم غشاوة فما وجه افراج السمع وجمع القلوب والابصار يمكن ان يجاذب عن هذا فيقال ان السمع هنا جنس  
فيصدق على الواحد والكثير ويمكن ان يقال ان السمع مفرد مضاد الى معرفة وهو الضمير - [00:16:02](#)

وذلك لي العموم فيقول المعنى الى شيء متعدد والعلماء رحمهم الله يجيبون عن هذا باجوبة كقول بعضهم بأنه وحد السمع لأن لكل  
واحد منهم سمعا واحدا كما يقال اثاني برأس الكبشين - [00:16:31](#)

يعني رأس كل واحد منها يقال ذلك اذا امن اللبس ختم الله على سمعهم يعني باعتبار كل فرد فافرده بهذا الاعتبار وبعضهم يجيب  
عن هذا بان السمع مصدر في اصله وان المصادر لا تجمع - [00:16:54](#)

فيقال رجال صوم ورجال كذلك فروعي الاصل لكن لما ذكر الاذان في موضع اخر قال وفي اذانا وقر فجمعها وبعضهم يجيب بجواب

آخر يقولون هناك مقدر مضاف يعني وعلى حواس سمعهم - 00:17:13

على حواس فالجمع هو المذوف المضاف والسمع مضاف اليه لكن الاصل عدم التقدير وبعدهم يجيب بجواب اخر ان ما قبل لفظ السمع وما بعده ذكر بلفظ الجمع وذلك يدل على ان المراد - 00:17:42

كذلك من السمع الجمع لكن من باب التفنن في العبارة افرد فحصلت هذه المغایرة يؤخذ من هذه الاية ايضا ايها الاحبة ان هذه الموانع التي ذكرها الله تبارك وتعالى تمنع من الایمان والاهتداء - 00:18:00

ولا يصل الى هذه القلوب ما ينفعها ولا تتنفع الاسماع والابصار فيكون الانسان في حال لا يرجى معه الخير له وذلك بسبب كفرهم وفساد بواطنهم والله عليم حكيم وفي تقديم السمع على البصر - 00:18:19

وهذا كثير في القرآن ان السمع والبصر والفؤاد رتبها بهذا الترتيب ما وجه هذا التقديم؟ تقديم السمع كثيرا في القرآن على البصر يمكن ان يذكر في هذا جملة من الامور - 00:18:41

فمن ذلك مثلا ان يقال بان السمع اتفع من البصر. الانسان حينما يولد وهو لا يسمع النتيجة التي ستكون حتمية الا ان يشاء الله انه لن ينطق ولذلك فان الصغير - 00:18:57

اذا كان في سمعه شيء ضعف يعني ستجد التعثر في لسانه لانه لا يسمع الكلمات كما ينبغي وقد لا يكتشف هذا الا في وقت متأخر ومنشأ ذلك السمع الصم البكم - 00:19:17

ما سبب علة النطق عندهم هل هي اللسان الجواب ان ذلك كان في السمع فلم يسمعوا كلام المتكلمين وقول القائلين ومن ثم لم يترجم في نفوسهم فما عادوا يستطيعون الكلام لانهم ما سمعوا اللغات انما تتلقى - 00:19:34

بالسماع تلقاها الصغير من ابويه وهكذا يدل على شرف السمع على البصر وايضا الانسان حينما ويقارن بين السمع والبصر السمع من جميع الجهات والبصر لا يكون الا من جهة واحدة الامام. ثم ايضا حينما تقارن تجد ان - 00:19:55

السمع يدرك غير المرئيات فهو يسمع اصوات اشياء بعيدة لا يصل اليها بصره يسمع صوت الطائرة ولا يراها. ولكن البصر له مدى قريب وايضا البصر لا يرى الا المتشخصات اما السمع فانه يسمع صوت الرياح - 00:20:18

ونحو ذلك مما لا يشاهد ويرى هذا كله يدل على اهمية السمع وعلى فضله. اضافة الى ان انسان اذا ذهب بصره ولم يولد هكذا لكنه كف بصره بعد ذلك العلماء يقولون ان ذلك - 00:20:40

يكون سببا لاستجمام بصر القلب يقوى فيه البصر فيكون عند الانسان من التوقد والذكاء والفهم ما لا يكون عند المبصرين. لماذا؟ لان القلب يتبع البصر وكما يتبع السمع ايضا فهذه المشاهدات التي يراها ويبصرها تشوش قلبه وتفرقه. هذه المشاهد ولذلك العلماء يقولون اذا اراد الانسان ان يحفظ - 00:21:01

او يفهم لا يجلس في اماكن خرير المياه والمروج ونحو ذلك لان قلبه يتفرق في هذه المشاهد ولذلك بعض الناس اذا اراد ان يحفظ او يتذكر اغمض عينيه وبعدهم لربما جلس في زاوية - 00:21:30

لا يوجد فيها شيء يشوش عليه قلبه بحيث لا يرى شيئا سوى هذا الجدار وهذه الزاوية يقترب منها قربا شديدا ولذلك ترى فيما فقدوا ابصارهم من الوعي للعلم والادراك الشديد والحفظ والضبط - 00:21:48

ما لا يكون عند كثير من المبصرين ولذلك انظروا الى العلماء الذين فقدوا ابصارهم والقراء الذين فقدوا ابصارهم من الحذاق تجد هؤلاء كثير لا يحصيهم الا الله. وفي عصرنا شاهد من هذا - 00:22:09

سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله كف بصره في مقابل عمره ومع ذلك وبهذه المنزلة في العلم. وشيخه الشيخ محمد ابن ابراهيم رحمه الله سماحة المفتى الاسيق كان قد كف بصره ايضا. وقربيه - 00:22:25

الشيخ عبد الله بن حميد اعني قرین الشيخ عبد العزيز ابن باز رحمه الله هو من كف بصره ايضا وهو من هو في الفقه والقضاء هؤلاء لم يكونوا من المبصرين وقل مثل ذلك في كبار القراء في هذا العصر - 00:22:43

الشيخ الزيات رحمه الله او الاعلى اسنادا في هذا العصر توفي قبل سنين كان من كف بصره فذهب البصر لا يعني ان الانسان يتغطى

بل ينعكس ذلك على القلب. بل بعض اهل العلم يقولون لو انه ذهبت عين واحدة - 00:23:00  
فان ذلك البصر الذي كان فيها يرجع الى العين الاخرى فيقوى بصرها والله اعلم على كل حال هذا السمع والبصر قدم السمع يمكن ان  
يقال ايضا انه الوسيلة تلقي كلام الله عز وجل - 00:23:22  
وبلوغ دعوة الانبياء عليهم الصلاة والسلام وما اشبه ذلك الله اعلم وصلى الله على نبينا محمد وعلى الله وصحبه - 00:23:40